على رأي المثل..

أسمع كلامك يعجبني.. أشوف أمورك أستعجب

إعداد

أ. د/ خالد محمود محمد عرفان

عميد كلية التربية بنين بالقاهرة

على رأي المثل..

أسمع كلامك يعجبني.. أشوف أمورك أستعجب

عندما يشاء الله عز وجل أن تصبح رئيسا لمؤسسة أو قسم أو فريق عمل تكتشف أمورا جديدة لم تكن مدركا لها من قبل، فتسمع وترى العجاب.

ومن أعجب ما ترى هو شخصيات من تتعامل معهم، فتجدها متنوعة ومختلفة بدرجة تجعلك تنطق مسبحا ومتعجبا "سبحان الله".

فتجد منهم الفعالين من يعمل في صمت ولا يتحدث إلا قليلا عند الضرورة، وقد لا يطرق بابك إلا قليلا زائرا ومسلما؛ فتسعد برؤيته وتتعلم من الحديث معه؛ بل وتتعلم من حركاته وسكناته حتى صمته تتعلم منه؛ فتجد نفسك خجلا أمامه تريد أن تقدم له الاحترام والتقدير بكل صوره؛ فهذه شخصية إيجابية، وفعالة ، ومحفزة، منتجة، ومبدعة؛ يجعلك تشعر بالفخر بأن لديك في مؤسستك أو فريق عملك مثل هذه الشخصية؛ وهي في الحقيقة لا تنتمي إلى مستوى عمري أو تخصص أو درجة علمية ووظيفية معينة بل قد يكون أستاذا أو هيئة معاونة أو موظفا أو عاملا.. فهو يكون مصدرا للبهجة والشعور بالإنجاز، ويجعلك تتمنى، أن يكون لديك منه عدد أصابع اليد الواحدة.. وهؤلاء يفعلون ذلك وكأنهم يقولون لك بلسان حالهم: "لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) (سورة الإنسان).

تحركهم قلوب مؤمنة وقيم راسخة وإحساس بالمسئولية وحب للعمل وانتماء للمؤسسة، بل يصل الأمر إلى أنهم يشعرونك بالسعادة لأنهم يأتون لهذه المؤسسة يوميا حبا وانتماء، وللأسف هم قلة قليلة.

وتجد منهم المعتدلين الذين لا يحضرون كثيرا ولكن يعملون بفعالية كبيرة رغم قلة أيام حضورهم، التي يعوضونها بمزيد من الجهد؛ فينجزون الكثير من الأعمال في وقت قصير، وهم فريق لا بأس به، وربما دفعه إلى ذلك ظروف الحياة وانشغاله بأمور أخرى كالعمل والظروف الاجتماعية والصحية، وهؤلاء نرفع لهم القبعة، فقد يحضر الواحد أياما من طلوع الشمس لغروبها وربما لساعات من الليل؛ فهو يريد أن يعوض قلة أيام حضوره كي يؤدي ما عليه من عمل، وهؤلاء أيضا لهم الشكر والتقدير، ونرفع لهم القبعة ، ونشكرهم على إنجاز أعمالهم مع مراعاة ظروفهم.

وهناك فريق ثالث هم المنسحبون الذين لا يحضرون، وإذا حضروا لا يعملون، رغم تمتعهم بالمهارات اللازمة للإنجاز ولا يوجد ما يمنعهم من العمل، وهؤلاء يجعلونك تفكر كثيرا وتقول: هل هم منسحبون لأنهم لا يحبونك شخصيا؟ أم لانهم لا يحبون المؤسسة؟ أم لديهم مشكلات نفسية أو صحية؟ وغيرها من التساؤلات التي تجعلك حائرا في التعامل معهم. والعجيب عندما تتجاهلهم يملأون الدنيا صراخا وضجيجا بأنهم مهملون، وأن المؤسسة لا تشاركهم وتتجاهلهم، وعندما تشاركهم يقصرون ويهملون ويأتون بحجج واهية؛ فتضطر آسفا إلى استبعادهم.

وهناك فريق رابع هم المقصرون المنتقدون الذي لا يفعلون إلا اليسير، هم أدوات للنقد الهدام ودعاة للمثالية، فلا يعجبهم شيء ولا يفعلون شيئا، ولديهم الحجج المرضية والاجتماعية الجاهزة، يجلسون أمامك يتحدثون عن الدين و التقوى و الإيمان و الأمانة والمسئولية وغيرها من القيم، فتقشعر من أحاديثهم الأبدان وتلين القلوب ، وتكاد من فرط التأثر أن تقبل رؤوسهم وأيديهم والتراب الذي يسيرون عليهم، فماذا تفعل مع شخص يتحدث بكلام الله وكلام رسوله، فيأتيك بأية قاطعة، وبحديث متواتر، وبقصة ملهمة وبأفكار تربوية وبحثية يسوقها ليل نهار في عالمنا الافتراضي الذي طالما حلمت به أن يكون واقعا؛ فتجد نفسك حائرا معهم، وتقول لهم في نفسك متعجبا: من أنتم؟!

وأظن أنهم يظنون بفعلهم هذا أنهم فوق النقد وأنهم استطاعوا أن يخدعوا الناس، ونسوا أو تناسوا أنهم قد يخدعون بعض الناس لبعض الوقت، ولكنهم لن يخدعوا كل الناس طول الوقت.. وهم يظنون أنهم أذكياء بفعلهم هذا، بينما الناس تعرفهم جيدا فهم عرايا ويظنون أنهم مستورون.

ولا يكتفون بذلك بل ينصبون أنفسهم نقادا وحكاما وحماة للعقيدة ومدافعين عن القيم التي لا يعرفون منها سوى اسمها، فالويل كل الويل لك لو صدر منك قول أو فعل يخالف تصوراتهم ووجهات نظرهم.. ينصبون لك المحاكم ويأتون لك بالآيات والأحاديث القاطعة والنصوص الجامعة المانعة من أمهات الكتب، فتشعر بأن بينك وبين الكفر شعرة توشك أن تقطعها، فتشعر بالخجل والخزي وينتابك صمت مطبق رغم فصاحة لسانك وقوة بيانك، فأنى لك أن تقول مع قال الله وقال رسوله، ونسي هؤلاء أن النصيحة في الملأ فضيحة، وأن ما يفعلونه ليس من الإسلام في شيء، وتضطر أن تسكت منعا للبلبلة وكثرة الكلام؛ قَالَ رَسُولُ اللَّه – صلى الله عليه وسلم- (أَنا زَعِيمٌ ببَيتٍ في رِبَضِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا..) رواه الترمذي.

إن هذا الفريق والذي قبله تجد نفسك حائرا معهما؛ ماذا تفعل؟ هل تحيلهم إلى التحقيق، ليأخذوا ما يستحقونه من عقوبات؟ وإن كنت أرى أن ذلك لن يكون مجديا معهم، فلن يصلح العطار ما أفسد الدهر، وتتهم حينها بأنك لا تحترم أساتذتك وزملاءك، وتتهم بالندالة ونكران الجميل .. وغيرها من قائمة اتهامات معدة سلفا تتوارثها الأجيال، أم أنك تتركهم لضمائرهم التي قد تستيقظ يوما استجابة لآية يتلونها أو حديث يرددونه، أو تغريدة رائعة يكتبونها في عالمنا الافتراضي؟

وهناك فريق خامس هم الذئاب الذين يقبلون عليك بوجه مشرق وكلام معسول، ويصبون عليك المدائح صبا حتى تشعر بالخجل من فرط المجاملة ورقة الكلام وعذوبته، ولا يكادوا ينصرفون من عندك حتى يكيلون لك الاتهامات والنقد وربما الشتم في بعض الأحيان مع الزملاء في المكاتب وعلى مجموعات التواصل الاجتماعي في حين أنه كان من الأولى لهم أن يتحدثوا بصراحة وينقدوا ويوجهوا ويقترحوا ويقولوا ما يريدون وجه لوجه؛ فقد تستفيد منهم وتستفيد منهم المؤسسة، وهؤلاء يصدق عليهم قول الشاعر:

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروح منك كما يروغ الثعلب

أما الفريق السادس فهم صناع المشاكل الذين لا يروق لهم الهدوء ونجاح المؤسسة أو الفريق في تحقيق أهدافه، ويؤلمهم كثيرا جو الود والمحبة والصفاء في المؤسسة؛ فيصنعون من الحبة قبة ومن الكلمة مشكلة ومن النظرة غير المريحة تحقيقا.. ولست أدري ما الدافع وراء ذلك؟ هل فراغ يشغلونه.. أم مشكلات نفسية يفرغونها.. أم رواسب قديمة يقتصون لها..أم انتقام ينفذونه.. أم مؤسسة يريدون إفشالها.. أم إثبات للذات يريدون تأكيده..؟

وهؤلاء نسأل الله لهم صلاح الحال وراحة البال وسكينة النفس وأن يهدهم سبل الرشاد.

وهناك فريق آخر الراقصون على الأغصان، ألسنتهم حلوة ولا يفعلون حسنا أو قبيحا، ربما لأنهم لا يمتلكون المهارات اللازمة لأداء المهام المختلفة، فهؤلاء من أتت بهم القرارات للعمل في المؤسسة دون إعداد مسبق لهم ومهارات يتمتعون بها، فليس أمامك سوى القبول بهم والعمل على تعليمهم والصبر عليهم؛ فربما يتميزون ويجيدون مستقبلا.

إن كل ما سبق يجعلك حائرا؛ فهناك من تقف أمامه شاكرا ومقدرا داعيا الله له بالبركة في الصحة والرزق والأولاد، وهناك من تقف أمامه حائرا متعجبا ومرددا" اسمع كلامك يعجبني أشوف أمورك أستعجب"

أ. د/ خالد محمود محمد عرفان
عميد كلية التربية بنين بالقاهرة